بالعربي الفصيح
عبدالإله الطلوع

■ لا أعتقد أن هناك من لا يدرك عمق المشكلة وأبعادها والتي أصبحت واقعاً مؤلماً نعيشه كل يوم، مشكلة اتسعت رقعتها واستفحلت حدة وضرراً .
ان ما جرى لفخامة الأخ علي عبدالله صالح، رئيس الجمهورية، وكبار قادة الدولة داخل بيت الله لهو عمل جبان قد يوصل اليمن إلى حالة خطرة.
عادة قبل الحرب تكون وجوه الناس متعبة وقلقة ومترقبة للدمار خصوصاً عندما تكون المتارس وأكياس الرمال والخنادق منتشرة في الشوارع، الجميع حتى الأطفال يترقبون الحرب في أي لحظة، أسوأ شيء في الحياة أن تنتظر مجهولاً تعرف أنه سيئ بل ربما يكون أسوأ شيء في الحياة، لكنك لا تستطيع أن تحدد ما يحمله من سوء ودمار، فهل هناك أسوأ من الحرب بسبب غياب لغة الحوار والتفاهم فعلى علماء ووجهاء وقادة المجتمع المدني أن لا يظلوا صامتين عما وصلت إليه أوضاع الناس في بلادنا.
حين انطلق البث الفضائي في بداية التسعينيات الميلادية كان التحذير مخيفاً من الخطر القادم، التحذير انطلق من عدة منابر وصل إلى التحرير وتوعد من يستخدم الـ(دش) بالعذاب وسوء الخاتمة ، الإعلام أمانة وهو نقل للحقيقة فقط لما يحصل على الأرض دون أن يضاف أي شيء يغير الواقع والحقيقة إلا أننا نرى الإعلام ضحية تذبح كل يوم على مرأى ومسمع الجميع وأن المحطات الفضائية (المذبح والمسلخ) الذي تتم فيه عملية الذبح اليومي للحقيقة، نسأل الله أن يجنب اليمن الفتن فهو القادر على ذلك.

مقتل طفلة بسبب خلاف أبيها مع جاره

●.. من المعلوم والمؤكد أن الصورة العظيمة التي تظهر فيها معالم التشييد العمراني القديم للمباني والمنازل القديمة والتي لا يزال الكثير منها قائماً حتى الآن في العديد من المدن التي نطلق عليها «المدينة القديمة» والتي لا تخلو منها أي محافظة من محافظات الجمهورية اليمنية، وتتمثل تلك الصورة الجمالية في عظمة وطريقة وأسلوب البناء والتشييد البدائي الرائع، وصور أخرى كثيرة وعديدة وأهمها الأسلوب الودي والتراحمي النابع من عظمة المحبة والتجاور والإخاء الذي يربط الجميع من أبناء وأهالي تلك المدن القديمة على مدى عصور وسنين كثيرة عاشوها أجيالاً وراء أجيال وعلى مر قرون ولّت منذ الوهلة الأولى لعملية البناء والتشييد.

فواز محمد إسكندر

تلك الصورة التي قصدتها هنا هي التلاحق المتين بين المنازل والبيوت القديمة كبيرة وصغيرة وكأن جميعها بيتاً واحداً لدرجة أنه يستطيع أي شخص منا أن يمر من فوق جميع المنازل على قدميه متجولاً بسهولة بين أسطحها دون أي صعوبة تُذكر.. لا قواطع ولا حواجز تفصل بين البيت هذا وذاك والأروع في هذا أنك تجد منزلاً مكوناً من عدة أدوار يمتلكه أكثر من شخص وأسرة وكل باب يخص أسرة على حدة، وعلل الكثير من الأهالي هذا الترابط السكاني القديم بأنه دليل التسامح والتراحم الذي كان يمثله ويتصف به الإنسان القديم.. أما اليوم فإننا وللأسف الشديد نشاهد العكس ولم يعد من ذلك شيء بسيط حاضراً وكله أصبح بعبارة كان فعل ماضي وزمنه مضى وهو بحكم القديم.. في قديم الزمان..
فكم يا خلافات تحدث بين الناس المتجاورين مع بعضهم البعض في المنازل والمحلات والأراضي وغيرها من مختلف العقارات وكم يا قضايا في إطار ذلك استقبلتها الأقسام والمراكز الأمنية وبعدها الأجهزة القضائية ولدرجة أن لا محكمة لا تخلو أروقتها وقاعاتها من القضايا والخلافات والنزاعات العقارية.. ناهيك عما قد تسببه تلك القضايا من جرائم جنائية ترتكب من قبل أطراف النزاع ونتيجة أيضاً ما يُعرف بالإطالة بالتقاضي وعدم البت فيها وفصلها قضائياً وتنفيذ الأحكام الصادرة فيها وإن كانت متأخرة وجميع هذه القضايا والخلافات تمثل العكس لما كان في قديم الزمان فهذه الأيام نشاهد أسواراً مشيدة تفصل المنزل عن الآخر وجداراً ضخماً يحمي هذا المبنى عن ذاك المبنى، أصبح الناس يعزلون منازلهم عن منازل جيرانهم ويختلفون على متر أو مترين كل يدّعي ملكيته وتبعيته لمنزله لم يعد هناك تراحم أو تسامح اختفت المودة والمحبة بينهم وبين أقرانهم من العامة، إنه لشيء مُحزن ومؤلم وسأتطرّق هذا الأسبوع لواحدة من القضايا الجنائية التي وقعت بين اثنين من الجيران لم يتوقع أحد أن ينتهي بهما الحال بهذه الطريقة البشعة متناسين حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام عن الجار والعظمة الدينية التي أعطاها للجار على جاره.

وقضية هذا الأسبوع بدايتها كانت لأحداث من الخلافات وسلسلة النزاعات بين الجارين فكلاهما يملك منزلاً إلى جانب الآخر، سنوات عديدة مرت منذ تشييدهما للمنزلين فكل واحد بنى منزله على مستواه المعيشي والاجتماعي واللذين لا يختلفان فيه إلا بأمور بسيطة ودارت السنين والأعوام والمنزلان لا يفرّقهما شيء أو بما يعرف بالسور أو الفاصل الجداري وكان يضرب بهما المثل بالمنطقة وضرب الجاران أو الأسرتان أروع الصفات الحميدة والتعامل الحسن وكأنهما أسرة واحدة هكذا كان ينظر إليهما الجميع ويتحدّث عنهما الكل وكأن هذا تسبّب لهما بعين خبيثة ولعنة الشر وبدون سابق إنذار شرعت الأمور تنقلب عن وضعها الطبيعي لم يصدق أحد أن الجارين «م»و «ج» اختلفا مع بعض وتطور الأمر إلى نشوب مشادة كلامية بينهما كانت الشرارة الأولى التي أحرقت الأسرتين وطغت على تاريخهما الأبيض الناصع، بين لحظة وأخرى نسي الاثنان كل السنوات التي عاشوها في حب ووئام وصدق ووفاء وتضحية وكل صفة حسنة يتمنى حدوثها أي شخص في حياته ويتعايش معها مع شخص غيره ومن جنسه..
كانت البداية المؤلمة والانطلاقة الحقيقية في هدم كل ما بنوه لأعوام طويلة هي حينما قرر «ج» أن يبني جداراً وسوراً بجانب بيته بهدف أن يكون فاصلاً بينه وبين جاره هكذا أراد «ج» وهو ما لم يكن يتوقعه «م» أو يقبل به بحجة أن قطعة الأرض التي أراد جاره أن يبني فيها السور ويحتفظ بجزء منها من جانب منزله كحوش صغير هي أصلاً في إطار أملاكه هو وليس لجاره الحق في الاستيلاء عليها وعمل الجدار العازل كما سمّاه.. هكذا بدأ الخلاف وتطور رويداً رويداً حتى صار موضوع النزاع في أروقة وقاعات المحاكم كلاً يدعي أحقيته بموضع الخلاف، لم يفد أي تدخّل من قبل الأهل والأصدقاء والأهالي بين الجيران فمحاولات إصلاح الشأن كانت تنتهي بالفشل.. فشلت فشلاً ذريعاً أصبح القمر والتحدي والكبر هو حليف كل واحد منهما وصلت خسائرهما المادية إلى ما هو أكبر من السعر الحقيقي لموضع النزاع وهذا لم يعد مهماً بالنسبة لهما فالتراجع غير مقبول ويعد اعترافاً بالفشل فهو لن يقبله أحد بالنظر ولا غيره هكذا أراد الاثنان.. مع استمرار الوضع المأزوم بين الجارين ووصوله إلى المحاكم وعقد جلسات قضائية ورغم الإطالة بذلك لم يتغيّر أي واحد منهما عن موقفه وغرضه فقد تعب الجميع من أفراد الأسرتين والأهالي وأصبح وضعهما سيئاً نتيجة ما يحدث فالكراهية زادت والحقد توسع فكيف سيعيش الجميع بوضع سيء والمنزلان إلى جانب بعض فهما جاران.. وإلى متى سيظل وضعهما هذا، ألا يتوقف الرجلان عن مكابرة بعضهما وتحدي الأول للثاني إنه لأمر لا يطاق صار الجميع أعداء بعضهم البعض فالرجلان وصلا لمرحلة اليأس من القضاء الذي أصبحت الإطالة لديهم شيئاً روتينياً الأمر الذي جعل أحدهما يتمرد على سلطة القضاء والأعراف والتقاليد وأن يجعل الجحود حله الوحيد من جاره المغتصب لأملاكه على حد تعبيره حيث جعل من السلاح وسيلته لتحرير حقه وغايته..
فقد وصل النزاع إلى ذروته الخطيرة جداً ففجأة يسمع «م» وهو بداخل منزله أصواتاً من الخارج وكأن شخصاً ما يناديه فهب مسرعاً ليجيب على المنادي له وحينها لحقت به طفلته ذات الخمسة الأعوام تقريباً ركضت وراء أبيها ببراءة طفولية كما يفعل أقرانها من الأطفال وبمجرد خروج «ج» من باب منزله يفاجأ بأن المنادي له هو جاره «م» ولم يكن بالطبيعي قدومه بعد كل ما حدث بينهما ولاحظ أن بيد جاره سلاح كلاشنكوف «الآلي» مخاطباً إياه أنت يا جاري الحبيب من حكم علينا بالموت نتيجة طمعك وجشعك وتصديقك للمنافقين.. ما إن أكمل تلك الكلمات والعبارات المؤلمة والموجعة حتى وجه سلاحه صوب جاره الذي وقتها كانت طفلته تقف بجانبه وهي، تعلم مايحدث بين أبيها والرجل الذي كانت وأعتادت أن تناديه بعبارة «عمو» ويطلق «م» النار على جاره لتصيبه الأعيرة النارية والشيء ذاته يحدث للطفلة لتقع ويقع والدها أرضاً والدماء تسيل منهما .. لحظات صعيبة تفاجأ «م» بأصوات بكاء الطفلة لم يصدق أن طفلة جاره هي من تصرخ وتبكي على أبيها ومن توجعها ومشاهدتها للدماء تسيل من والدها ومنها فرغم ما قام به «م» من جريمة إلا أنه جن جنونه وهو يشاهد طفلة جاره بهذا الشكل فسارع إلى إسعافها وإسعاف جاره حينها خرج من كان بداخل المنزلين فور سماعهم لأصوات الطلقات النارية وهب الجميع لمساعدة «م» في إسعاف «ج» وطفلته وهم لا يعرفون ما حدث إلا عقب قيام رجال الأمن بإلقاء القبض على «م» واصطحابه معهم إلى القسم واعترافه بجريمته فلم يصدق ذلك أحد وكانت فاجعتهم الأكبر هي تلقيهم خبر وفاة الطفلة وهذا ما ولد صدمة كبيرة لدى الأسرتين فوالدها نجا بأعجوبة وكتب له عمر جديد وهو ما لم يكن يريده عند سماعه لخبر وفاة طفلته التي دفعت حياتها ثمنا لطمع وعناء أبيها حينها أدرك أنه السبب الأول والأخير وأقر بخطئه بحق جاره، عاد لصوابه وتذكر كل شيء رائع وجميل عاشه مع جاره إلى حين نشوب الخلاف بينهما وندم والدها ندماً شديداً على كل ما اقترفه بحق جاره وبكى كثيراً على طريقة موت طفلته وتمنى لو كان هو من مات ولكنه استغفر ربه وقال إنها إرادة الله وطلب من الله عز وجل أن يغفر له وعاهد الجميع على إنهاء أي خلاف ونزاع قائم وحاضر بينه وبين جاره الذي كان وقتها خلف القضبان ولم يدم طويلاً بقاؤه حيث تدخل العقلاء ممن لم يسمع إليهم سابقاً في الخلاف السابق بين الجارين ولكن هذه المرة سمعوا كلامهم وقدروا تدخلهم هذا في حل قضية القتل عرفياً وتم الصلح فيها ولم يكن الأب وحده من حزن على طفلته بل الجميع حزنوا وتألموا كثيراً عليها بما فيهم «م» وأسرته.. وهكذا كانت النهاية المؤلمة فلا شيء يستحق من أجله أن نخسر الجار والصديق وأي إنسان كان، فتحكيم العقل هو الحل لكل شيء دون استثناء.

F.eskandar@ hotmail.com

حوادث بالكريكاتير